الحديث السادس عشر
بـدء الخلق

بدء الخلق

١٦ . عَـنْ عِمْـرَانَ بْـنِ حُصَـيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُـمَا، قَـالَ: دَخَلْـتُ عَـلَى النَّبِـيِّ ﷺ، وَعَقَلْـتُ نَاقَتِـي بِالْبَـابِ، فَأَتَـاهُ نَـاسٌ مِـنْ بَنِـي تَمِـيمٍ فَقَـالَ: «اقْبَلُـوا البُشْرَى يَـا بَنِـي تَمِـيمٍ»، قَالُـوا: قَـدْ بَشَّرْتَنَـا فَأَعْطِنَـا، مَرَّتَـيْنِ، ثُـمَّ دَخَـلَ عَلَيْـهِ نَـاسٌ مِـنْ أَهْـلِ اليَمَـنِ، فَقَـالَ: «اقْبَلُـوا البُشْرَى يَـا أَهْـلَ اليَمَـنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَـا بَنُـو تَمِـيمٍ»، قَالُـوا: قَـدْ قَبِلْنَـا يَـا رَسُـولَ اللهِ، قَالُـوا: جِئْنَـاكَ نَسْـأَلُكَ عَـنْ هَـذَا الأَمْـرِ؟ قَـالَ: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُـنْ شَيْءٌ غَـيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُـهُ عَـلَى المَـاءِ، وَكَتَـبَ فِي الذِّكْـرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَـقَ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضَ» فَنَـادَى مُنَـادٍ: ذَهَبَـتْ نَاقَتُـكَ يَـا بْـنَ الحُصَـيْنِ، فَانْطَلَقْـتُ، فَـإِذَا هِـيَ يَقْطَـعُ دُونَهَـا السَّـرَابُ، فَـوَاللهِ لَـوَدِدْتُ أَنِّي كُنْـتُ تَرَكْتُهَـا.

رواه البخـاريُّ (٣١٩) كِتَـابُ بَـدْءِ الخَلْـقِ / بَـابُ مَـا جَـاءَ فِي قَـوْلِ اللهِ تَعَـالَى: {وَهُـوَ الَّـذِي يَبْـدَأُ الخَلْـقَ ثُـمَّ يُعِيـدُهُ وَهُـوَ أَهْـوَنُ عَلَيْـهِ} [الـروم: ٢٧].

أولًا: مقدمات دراسة الحديث

١. التمهيد:

محمود وعلِيٌّ صديقان، جلسا ذات يوم يتفكران في أمر الخلق، فاختلفا في مسألة: أول ما خلق الله تعالى من المخلوقات، قال عَلِيٌّ: أولها القلم، وقال محمود: بل أولها الماء، فما الصواب؟ وما الدليل عليه؟ هذا ما سوف تعلمه من حديث اليوم.

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخي الطالب: يُتوقَّعُ منك بعد دراسة هذا الحديث أن تكون قادرًا بعد عون الله تعالى على أن:

١. تُترجم لراوي الحديث.
٢. تُوضح معاني مفردات الحديث.
٣. تشرح المعنى الإجمالي للحديث.
٤. تُبيِّن ما يُرشد إليه الحديث.
٥. تستشعر أهمية قبول دعوة النبي ﷺ.
٦. تُبرهن على فضل أهل اليمن.
٧. تستدل على وجود الله تعالى في الأزل مُتفردًا وحده سبحانه.
٨. تُبين كتابة الله تعالى لمقادير الخلائق.

٣. موضوعات الحديث:

أخي الطالب: سيتضمَّنُ الحديثُ الشريف الذي ستدرسه بعون الله تعالى عددًا من الموضوعات المهمة، ومن أبرزها ما هو مُبَيَّن في الشكل التالي:

ثانيًا: رحلة تعلم الحديث

أخي الطالب: الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المكوِّنة لتعلم درس اليوم

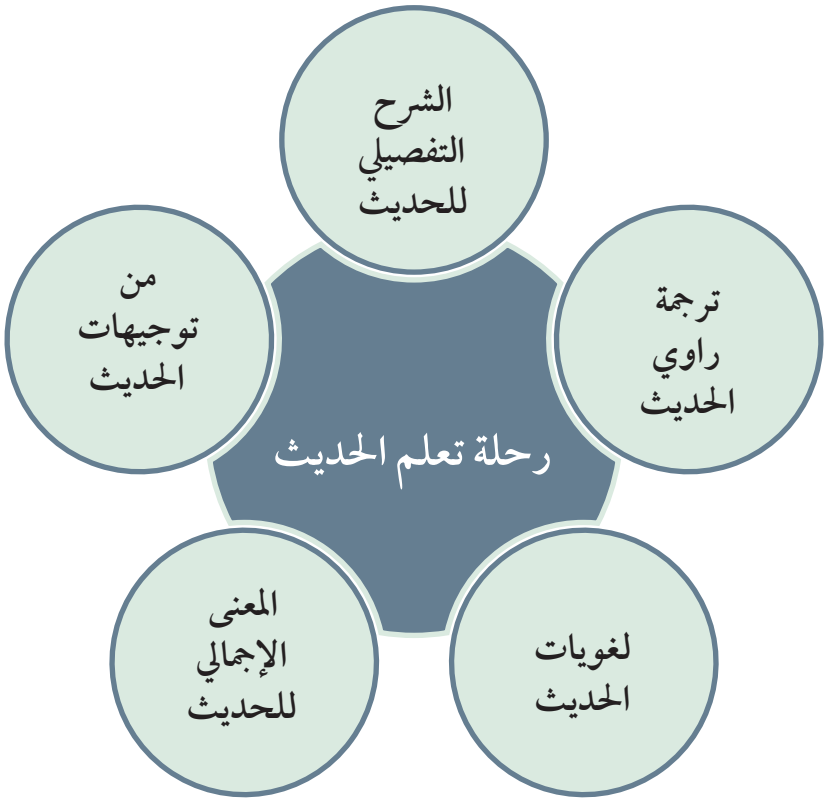

١. ترجمة راوي الحديث:

هو: عِمرانُ بنُ حُصَيْنِ بنِ عُبَيْدٍ الْخُزَاعِيُّ، أبو نُجَيْدٍ، أسلم عام خيبر مع أبي هريرة ﷺ، وغزا مَعَ رَسُول اللهِ ﷺ عدة غزواتٍ، وكان صاحبَ راية خُزاعةَ يومَ الفتح، وهو من فضلاء الصحابة، وفُقهائهم، بَعَثه عمرُ بنُ الخطَّاب ﷺ إلى البصرة؛ ليُفقِّهَ أهلَها، واستقضاه عبدُ اللهِ بنُ عامرٍ ﷺ على البصرة، فأقام قاضيًا يسيرًا، ثُمَّ استَعفى فأعفاه، قال ابن سيرين رحمه الله: «لم نَرَ في البصرة أحدًا من أصحاب النَّبِيِّ ﷺ يُفضَّل عَلَى عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، وكان مُجابَ الدعوة، ولم يَشهَد الفتنة»، تُوفِّي سنة ثلاث وخمسين من الهجرة(٢٦٣).

(٢٦٣) يراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٤/ ٢١٠٨)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٣/ ١٢٠٨)، «أسد الغابة» لابن الأثير (٤/ ٢٦٩)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٤/ ٥٨٤).

نشاط (١) اقرأ وحلل ولخص

أولًا: لخص أهم خصال الراوي الواردة في الترجمة

.....

.....

ثانيًا: ما مواطن القدوة في حياة الراوي؟.....

ثالثًا: قال أَبُو رَجَاءٍ: خَرَجَ عَلَيْنَا عِمْرَانُ فِي مِطْرَفِ خَزٍّ لَمْ نَرَهُ قَطُّ، فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ اللهَ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً يُحِبُّ أَنْ تُرَى عَلَيْهِ). (٢٦٤)

أ. ما الخصلة التي تستنتجها من قول أَبِي رَجَاءٍ؟

.....

ب. وما الحامل للراوي على التحلي بهذه الخصلة؟

.....

٢. لغويات الحديث:(٢٦٤)

عبارة الحديث	اللغويات
عَقَلْتُ نَاقَتِي	أَيْ: ثَنَيت ذِرَاعها، وشَدَّ في وَسَط الذِّرَاعِ بحبل، وذلك الْحَبْل يُسمى (الْعِقَالُ).
البُشرى	من البشارة، وأراد بها ما يُجازى به المسلمون، وما تصير إليه عاقبتهم من الفوز بالجنة، قال لهم ذلك بعد أن عرفوا أصول العقائد، وما يجب عليهم فعله، وما يَلزَمهم تركه.
فأعطنا	أي: من المال.
هذا الأمر	أي: الحاضر الوجود، وكأنهم سألوا عن أحوال هذا العالم.
الذكر	اللوح المحفوظ.
يقطع دونها السراب	يَحُول بيني وبين رؤيتها السراب، وهو ما يُرى نِصْفَ النهار كأنه ماءٌ، وليس هناك شيء.

(٢٦٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥١١).

٣. المعنى الإجماليُّ للحديث:

يـروي عِمْـرَانُ بْـنُ حُصَـيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُـمَا، قَـالَ: (دَخَلْـتُ عَـلَى النَّبِـيِّ ﷺ، وَعَقَلْـتُ نَاقَتِي بِالْبَـابِ)؛ أي: ربطتهـا بحبـل في بـاب المسـجد. **(فَأَتَـاهُ نَـاسٌ مِـنْ بَنِـي تَمِـيمٍ، فَقَـالَ: «اقْبَلُـوا البُـشْرَى يَـا بَنِـي تَمِـيمٍ»)**؛ أي: اقبلـوا البشـارة، وأراد بهـا مـا يُجـازى بـه المسـلمون، ومـا تصير إليـه عاقبتهـم مـن الفـوز بالجنّـة. **(قَالُـوا: قَـدْ بَشَّرْتَنَـا فَأَعْطِنَـا، مَرَّتَـيْنِ)**؛ أي: أعطنـا مـن المـال؛ فقـد مالـوا إلى طلـب الدنيـا.

(ثُـمَّ دَخَـلَ عَلَيْـهِ نَـاسٌ مِـنْ أَهْـلِ اليَمَـنِ، فَقَـالَ: «اقْبَلُـوا البُـشْرَى يَـا أَهْـلَ اليَمَـنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَـا بَنُـو تَمِـيمٍ»، قَالُـوا: قَـدْ قَبِلْنَـا يَـا رَسُـولَ اللهِ): قبلـوا بشـارة النبـيِّ ﷺ بالجنـة. **(قَالُـوا: جِئْنَـاكَ نَسْـأَلُكَ عَـنْ هَـذَا الأَمْـرِ؟)**؛ أي: نسـألك عـن هـذَا الوجـود، وكأنهـم سـألوا عـن أحـوال هـذا العـالَم.

قَـالَ ﷺ: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُـنْ شَيْءٌ غَـيْرُهُ»؛ أخـبر ﷺ أنّـه كان الله سـبحانه وتعـالى في الأزل متفـرِّدًا وحـدَه، ولم يكـن شيء غـيره، لا المـاء ولا العـرش ولا غيرهمـا.

«وَكَانَ عَرْشُـهُ عَـلَى المَـاءِ»؛ أي: عـرش الرّحمـن الـذي اسـتوى عليـه - جـلَّ جلالـه - وصفـه الله تعـالى في كتابـه بأنـه عظيـم وكريـم ومجيـد.

«وَكَتَـبَ فِي الذِّكْـرِ كُلَّ شَيْءٍ»؛ أي: وأنّـه تعـالى كتـب في اللَّـوح المحفـوظ جميـع مـا هـو كائـنٌ إلى يـوم القيامـة. **«وَخَلَـقَ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضَ»**؛ أي: ثـم خلـق السـموات والأرض.

(فَنَـادَى مُنَـادٍ: ذَهَبَـتْ نَاقَتُـكَ يَـا بْـنَ الحُصَـيْنِ، فَانْطَلَقْـتُ، فَـإِذَا هِـيَ يَقْطَـعُ دُونَهَـا السَّـرَابُ)؛ **أي:** فانطلقـتُ وراءهـا، فـإذا هـي يَحُـول بينـي وبـين رؤيتهـا السـراب، وهـو مـا يُـرى نِصْـفَ النهـار كأنـه مـاءٌ، دون أن يكـون هنـاك شيء.

(فَـوَاللهِ، لَـوَدِدْتُ أَنِّي كُنْـتُ تَرَكْتُهَـا)؛ أي: ولم أقـم مـن مجلـس رسـول الله ﷺ إذ فاتنـي سـماع مـا تحـدَّث بـه عـن بَـدْءِ الخلـق والعرش.

٤. الشرح المفصَّل للحديث:

إنّ الله سـبحانه وتعـالى هـو الأوَّل الـذي ليـس قبلـه شيء، والآخِـر الـذي ليـس بعـدَه شيء، والظاهـر الـذي ليـس فوقَـه شيء، والباطِـن الـذي ليـس دونـه شيء، المتَّصِـف بصفـات الجـلال والكـمال، وقـد أخبرنـا النّبـيُّ ﷺ عـن بدايـة الخلـق ونهايتـه؛ لأننـا لا نسـتطيع علـم ذلـك إلا عـن طريـق الخبـر الصحيـح في الكتـاب والسُّـنَّة؛ حتّـى نستشـعر عظمـة الله تعـالى وقُدرتـه سـبحانه.

وفي هـذا الحديـث يـروي **عِمْـرَانُ بْـنُ حُصَـيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُـمَا، قَـالَ: (دَخَلْـتُ عَـلَى النَّبِـيِّ ﷺ، وَعَقَلْـتُ نَاقَتِي بِالْبَـابِ)**؛ أي: أنـه دخـل عـلى النَّبـيِّ ﷺ ذاتَ مـرَّة في المسـجد النّبـويِّ، وقبـل دخولـه عَقَـل ناقتـه بالبـاب؛ أي: رَبَطهـا بحبـل يُسـمَّى العِقال.

(**فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ**)؛ أي: في ذلك اليوم جاء إلى النَّبيِّ ﷺ ناس من قبيلة بني تميم، فتلقَّاهم النّبيُّ ﷺ بالبِشْرِ والبشارة بما يشرح الصُّدور.

فَقَالَ ﷺ: «**اقْبَلُوا البُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ**»؛ أي: اقبلوا منّي ما يقتضي أن تُبشَّروا إذا أخذتم به بالجنَّة؛ كالفقه في الدِّين، والعمل به.

«قوله: «اقبلوا البشرى يا بني تميم» في رواية أبي عاصم: «أبشروا يا بني تميم»، والمراد بهذه البشارة أنَّ من أسلم نجا من الخلود في النّار، ثمّ بعد ذلك يترتَّب جزاؤه على وَفْقِ عملِه، إلا أن يعفوَ اللهَّ، وقال الكرمانيُّ -رحمه الله-: بشَّرهم رسول اللهَّ ﷺ بما يقتضي دخول الجنَّة، حيث عرَّفهم أصول العقائد الّتي هي المبدأ والمُعاد وما بينهما»[٢٦٥].

(**قَالُوا: قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، مَرَّتَيْنِ**)؛ أي: أعطنا من المال؛ فقد مالوا إلى طلب الدنيا، فكان جُلُّ اهتمامهم بالدّنيا، لم يفهموا من البُشرى إلّا العطاء المادِّيَّ فقط، «وهو دالٌّ على إسلامهم، وإنّما راموا العاجل، وسببُ غَضَبه ﷺ استشعارُه بقلَّة عِلمهم؛ لكونهم علَّقوا آمالهم بعاجل الدّنيا الفانية، وقدَّموا ذلك على التّفقُّه في الدّين الّذي يحصِّل لهم ثواب الآخرة الباقية.

قال الكرمانيُّ-رحمه الله-: دلَّ قولهم: (بشّرتنا (على أنّهم قَبلوا في الجُملة؛ لكن طلبوا مع ذلك شيئًا من الدُّنيا، وإنّما نفى عنهم القَبول المطلوب، لا مُطلَق القبول، وغَضِب حيث لم يهتمُّوا بالسّؤال عن حقائق كلمة التّوحيد والمبدأ والمُعاد، ولم يَعتنُوا بضبطها، ولم يسألوا عن موجباتها والموصِّلات إليها.

قال الطِّيبيُّ-رحمه الله-: لَمَّا لم يكن جُلُّ اهتمامهم إلّا بشأن الدّنيا، قالوا: (بشّرتنا فأعطنا)، فمن ثمّ قال: «إذ لم يقبلها بنو تميم»»[٢٦٦].

(**ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ**)؛ أي: ثمّ دخل عليه ناس من أهل اليمن، وهم الأشعريُّون، وهم قبيلة من اليمن، **فَقَالَ**: «**اقْبَلُوا البُشْرَى يَا أَهْلَ اليَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ**»، (**قَالُوا: قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللهَّ** (منك هذه البشرى.

(**قَالُوا: جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الأَمْرِ؟**)؛ أي: فإنما جئناك نسألك عن هذا الوجود، وكأنهم سألوا عن أحوال هذا العالَم، فشَرَعَ النّبيُّ ﷺ يحدِّث عن بَدء الخلق، والعرش، وهو الظّاهر، ويُحتمَل أن يكونوا سألوا عن أوَّل جنس المخلوقات، فعلى الأوَّل يقتضي السّياق أنّه أخبر أنَّ أوَّل شيء خُلِق منه السّماواتُ والأرض، وعلى الثّاني يقتضي أنَّ العرش والماء تقدَّم خَلْقُهما قبل ذلك.

---

(٢٦٥) "فتح الباري" لابن حجر (١٣ / ٤٠٩)

(٢٦٦) "فتح الباري" لابن حجر (١٣ / ٤٠٩)

نشـاط (٢) فكر وتعاون وأجب

1. يختلف الناس في طبائعهم وأخلاقهم التي تحدد سلوكياتهم، ولأهل اليمن كثير من الفضائل، حيث إن قولهم: قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ يدل على:

.....

.....

2. بالتعاون مع زملائك، ارجع إلى كتب السيرة والحديث، وسجِّل لنا بعض فضائل أهل اليمن.

.....

.....

نشـاط (٣) فكر وأجب

أولًا: ما دلالة موافقة سؤال أهل اليمن للأمر القرآني: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ (العنكبوت: ٢٠)؟

.....

.....

ثانيًا: ذكرت الآية ثمرتين للتفكر في بدء الخلق هما: إثبات البعث، إثبات قدرة الله تعالى.

ثالثًا: وضح كيف يمكن للدعاة استغلال مسألة بدء الخلق في مجادلة المنكرين للبعث وقضايا التوحيد في قوله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾.

.....

.....

قـال ﷺ: «**كان الله ولم يكـن شـيء غـيره**»؛ أي: فأخـبر أنـه كان الله سـبحانه وتعـالى في الأزل متفـردا وحـده، ولم يكـن شيء غـيره، لا المـاء ولا العـرش ولا غيرهمـا.

"قولـه: «كان الله ولم يكـن شيء غـيره»، وفي روايـة: «ولم يكـن شيء قبلـه»، وفي روايـة غـير البخـاري: «ولم يكـن شيء معـه»، والقصـة متّحـدة، فاقتـضى ذلـك أن الروايـة وقعـت بالمعنـى، ولعـل راويهـا أخذهـا مـن قولـه في دعائـه في صـلاة الليـل مـن حديـث ابـن عبـاس رضي الله عنـه: «أنـت الأول فليس قبلـك شـيء»؛ لكـن روايـة البـاب أصرح في العـدم، وفيـه دلالـة عـلى أنـه لم يكـن شيء غـيره، لا المـاء، ولا العـرش، ولا غيرهمـا؛ لأن كل ذلـك غـير الله تعـالى"(٢٦٧).

نشـاط (٤) أربط ونفذ

في ضوء فهمك لحديث الأسماء الحسنى أجب على ما يلي:

الاسـم الـذي يناسـب جملـة: ولم يكـن شيء غـيره	
وجه الدلالة من العبارة	
الدليل العقلي على أولية الله تعالى	
الدليلي النقلي من القرآن	

قولـه : «وكان عرشـه عـلى المـاء»؛ أي: عـرش الرحمـن الـذي استوى عليـه – جـل جلالـه – وهـو أعـلى المخلوقـات وأكبرهـا وأعظمهـا، وصفـه الله تعـالى في كتابـه بأنـه عظيـم، وبأنـه كريـم، وبأنـه مجيـد، «وكان عرشـه عـلى المـاء» معطـوف عـلى قولـه: «كان الله»، ولا يلـزم منـه المعيـة؛ إذ الـلازم مـن الـواو العاطفـة الاجتـماع في أصـل الثبـوت، وإن كان هنـاك تقديـم وتأخـير، ومـن ثـم جـاء قولـه: «ولم يكـن شيء غـيره» لنفـي توهـم المعيـة.

"وأمـا العـرش، فالأخبـار تـدل عـلى مباينتـه لغـيره مـن المخلوقـات، وأنـه ليـس نسـبته إلى بعضهـا كنسـبة بعضهـا إلى بعـض، وأخـبر أن عرشـه كان عـلى المـاء قبـل أن يخلـق السـموات والأرض؛ كـما قـال تعـالى: «وهـو الـذي خلـق السـموات والأرض في سـتة أيـام وكان عرشـه عـلى المـاء ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ ۝٧﴾ [هـود: ٧]

(٢٦٧) "فتح الباري" لابن حجر (٦ / ٢٨٩)

وفي رواية للبخاري لحديث عمران بن حصين رضي الله عنه: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء»، وفي رواية لغيره صحيحة: «كان الله ولم يكن شيء معه، وكان عرشه على الماء، ثم كتب في الذكر كل شيء» وثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»، وهذا التقدير بعد وجود العرش وقبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

وقال النبي ﷺ: «إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة، سخاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم ينقص ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الفيض - أو القبض - يرفع ويخفض»(٢٦٨).

هذا، وإن الله تعالى مستو على عرشه، وعرشه فوق سماواته، وهو بائن من خلقه جل وعلا، فهو العلي الأعلى، فوق جميع مخلوقاته سبحانه وتعالى، وهذا ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل القرون المفضلة.

و"إن أهل السنة والجماعة من أصحاب الرسول ﷺ والتابعين لهم بإحسان مجمعون على أن الله في السماء، وأنه فوق العرش، وأن الأيدي تُرفع إليه سبحانه كما دلت على ذلك الآيات والأحاديث الصحيحة، كما أجمعوا أنه سبحانه غني عن العرش وعن غيره، وأن جميع المخلوقات كلها فقيرة إليه، كما أجمعوا أنه سبحانه في جهة العلو فوق العرش، وفوق جميع المخلوقات، وليس في داخل السموات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ذلك علوا كبيرا " بل هو سبحانه وتعالى فوق جميع المخلوقات، وقد استوى على عرشه- استواء يليق بجلاله وعظمته، ولا يشابه خلقه في ذلك، ولا في شيء من صفاته، كما قال الإمام مالك -رحمه الله - لما سئل عن الاستواء، قال: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة" يعني: عن كيفية الاستواء"(٢٦٩)

وهو سبحانه وتعالى متمدِّح بأنّه ذو العرش؛ كقوله سبحانه: رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ [غافر: ١٥]».

وقد أخبر سبحانه أنَّ للعرش حَمَلةً اليومَ، ويومَ القيامة، قال تعالى: ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ﴿٧﴾ الآية [غافر: ٧]، وقال سبحانه: وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ [الحاقة: ١٧]، وأنَّ حَمَلته ومن حوله يسبِّحون ويستغفرون للمؤمنين... قال تعالى: وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ ﴿٧٥﴾ الآية [الزمر: ٧٥]، فذكر هنا أنَّ الملائكة

---

(٢٦٨) رواه البخاري (٧٤١٩)، ومسلم (٩٩٣).

(٢٦٩) "مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز" (١٠٥/ ٢).

تَحُفُّ من حول العرش، وذكر في موضع آخر أنَّ له حَمَلةً، وجَمَع في موضع ثالث بين حَمَلته ومَن حولَه فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ ۝٧﴾[غافر: ٧].(٢٧٠)

نشاط (٥) حلل القصة ثم أجب

قال معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه: كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «ائْتِنِي بِهَا» فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ الله، قَالَ: «أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» (٢٧١)

الجملة في هذه القصة التي تتعلق بموضوع الحديث	السبب في جملة: إنها مؤمنة
العرض ومكانه يدلان على توحيد	

قولـه ﷺ: «وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ»؛ أي: وأنّه كتب في اللَّوح المحفوظ جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة، وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»(٢٧٢).

والمراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره، لا أصل التقدير؛ فإن ذلك أزليٌّ لا أوَّلَ له، «وعرشه على الماء»؛ أي: قبل خلق السموات والأرض.

---

(٢٧٠) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٥٠، ٥٥١).

(٢٧١) رواه مسلم (٥٣٧).

(٢٧٢) رواه مسلم (٢٦٥٣).

ومما ورد في بَدْءِ الخلق: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي»(٢٧٣).

قوله ﷺ: «**وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**»؛ أي: ثم خلق السموات والأرض.

«قولُه: «وكان عرشه على الماء»؛ معناه: أنّه خَلَق الماءَ سابقًا، ثمَّ خلق العرش على الماء، وقد وقع في قصّة نافعِ بنِ زيدٍ الحِمْيَريِّ بلفظ: «كان عرشه على الماء، ثمّ خَلَق القَلَم فقال: اكتُبْ ما هو كائن، ثمّ خلق السّماواتِ والأرضَ وما فيهنّ»، فصرَّح بترتيب المخلوقات بعد الماء والعرش.

قوله: «وكان عرشُه على الماء، وكتب في الذّكر كلَّ شيء، وخلق السّماوات والأرض»، ولم يقع بلفظ (ثمّ (إلَّا في ذِكر خلق السّماوات والأرض، وقد روى مسلم من حديث عبد اللهَّ بنِ عمَرْوٍ مرفوعًا: «إنَّ اللهَّ قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يَخلُق السّماواتِ والأرض بخمسين ألفَ سنةٍ، وكان عرشُه على الماء»(٢٧٤)، وهذا الحديث يؤيِّد رواية من روى «ثمّ خلق السّماوات والأرض» باللّفظ الدّالِّ على التّرتيب»(٢٧٥).

نشـاط (٦) اقرأ وحلل وأجب

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ (فصلت: ١٠).

الحديث يقرر أن التقدير كان قبل خلق الأرض، والآية تفيد أن تقدير الأقوات كان بعد خلقها، في ضوء العبارة السابقة كيف نجمع بين ما تدل عليه الآية ودل عليه الحديث؟

.....

.....

.....

فـ«أشار بقوله: «وكان عرشه على الماء» إلى أنَّ الماء والعرش كانا مبدأَ هذا العالم؛ لكونهما خُلِقا قبل خلق السّماوات والأرض، ولم يكن تحت العرش إذ ذاك إلّا الماء، ومحصِّل الحديث أنَّ مُطلَق قوله: «وكان عرشه على الماء» مقيَّد بقوله: «ولم يكن شيء غيره»، والمراد بـ(كان (في الأوَّل الأَزَليَّة، وفي الثّاني: الحدوث بعد العَدَم، وقد روى أحمدُ والتِّرمذيُّ، وصحَّحه من حديث أبي رزين العقيليِّ مرفوعًا: «أنّ الماء خُلِق قبل العرش»، وروى السُّدِّيُّ في تفسيره بأسانيدَ متعدِّدةٍ: «أنّ اللهَّ لم يَخلُق شيئًا ممّا خلق قبل الماء».

---

(٢٧٣) رواه البخاريُّ (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١)

(٢٧٤) رواه مسلم (٢٦٥٣)

(٢٧٥) "فتح الباري" لابن حجر (٦ / ٢٨٩)

نشـاط (٧) اقرأ وحلل وأجب

من خلال التفكر في الآية الكريمة وربطها بالحديث أكمل المخطط التالي:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (السجدة:٤)

ترتيب ذكر السموات والأرض في الحديث	السموات والعرض	ترتيب ذكر السموات والأرض في الآية
.....		.....

دلالة الترتيب في الآية والحديث لا تفيد التعارض في أولية الخلق والتعليل هو: .....

تقرر في نهاية الآية الغرض من ذكر المخلوقات والحديث عنها وهو: .....

مّا ما رواه أحمدُ والتّرمذيُّ وصحَّحه من حديث عبادةَ بنِ الصّامت مرفوعًا: «أوّل ما خلق اللهُ القلم، ثمّ قال: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة»، فيُجمَع بينه وبين ما قبلَه بأنّ أوَّليَّة القَلَم بالنّسبة إلى ما عدا الماءَ والعرش أو بالنّسبة إلى ما منه صَدَر من الكتابة؛ أي: أنّه قيل له: اكتب أوّل ما خلق. وحكى أبو العلاء الهمدانيُّ أنَّ للعلماء قولين في أيِّهما خُلِق أوَّلًا: العرش أو القلم؟ قال: والأكثر على سَبْق خلق العرش، واختار ابن جرير ومن تَبِعه الثّانيَ»(٢٧٦).

قال عمران: (فَنَادَى مُنَادٍ: ذَهَبَتْ نَاقَتُكَ يَا بْنَ الْحُصَيْنِ)؛ أي: شَرَدت، **(فَانْطَلَقْتُ، فَإِذَا هِيَ يَقْطَعُ دُونَهَا السَّرَابُ)**؛ **أي**: فانطلقتُ وراءها فإذا هي يَحُول بيني وبين رؤيتها السراب، وهو ما يُرى نِصْفَ النهار في الفلاة كأنه ماءٌ، دون أن يكون هناك شيء. **(فَوَاللَّهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ تَرَكْتُهَا)**؛ أي: ولم أقم من مجلس رسول الله ﷺ إذ فاتني سماع ما تحدَّث به عن بَدْءِ الخَلق والعرش.

«قوله: (فواللهِ لوددتُ أنّي كنت تركتها (في التّوحيد: (أنّها ذهبت ولم أقم)؛ يعني: لأنّه قام قبل أن يُكمل النّبيُّ ﷺ حديثه في ظنِّه، فتأسَّف على ما فاته من ذلك. وفيه ما كان عليه من الحرص على تحصيل العلم»(٢٧٧).

---

(٢٧٦) "فتح الباري" لابن حجر (٦ / ٢٨٩).

(٢٧٧) نفس المصدر (٦ / ٢٩٠).

«وفي الحديث جوازُ السّؤال عن مبدأ الأشياء، والبحث عن ذلك، وجواز جواب العالم بما يَستحضِره من ذلك، وعليه الكفُّ إن خَشِيَ على السّائل ما يَدخُل على معتقَده. وفيه أنَّ جنس الزّمان ونوعَه حادثٌ، وأنَّ اللهَ أوجد هذه المخلوقاتِ بعد أن لم تكن، لا عن عجز عن ذلك؛ بل مع القدرة»[٢٧٨].

نشاط (٨) حلل الموقف

حدد أي العبارات التالية صحيحة وأيها خطأ بنقل العبارة الخاطئة إلى الشكل المقابل:

يستنتج من تصرف عمران بن حصين رضي الله عنه:

١ أهمية الرحلة في طلب العلم. ٢ طرح السؤال أحد وسائل التعلم. ٣ عدم حاجة طا لب العلم للتفرغ وإزا لة ما يشغل البال. ٤ الحرص والنهم طريق التميز في العلم.	

٥. من توجيهات الحديث:

١. جوازُ السّؤال عن مبدأ الأشياء، والبحث عن ذلك، وجواز جواب العالم بما يَستحضِره من ذلك، وعليه الكفُّ إن خَشِيَ على السّائل ما يَدخُل على معتقَده.
٢. جنس الزَّمان ونوعه حادثٌ، وأنَّ اللهَ أوجد هذه المخلوقاتِ بعد أن لم تكن[٢٧٩].
٣. المراد بالبشارة في الحديث أنَّ مَنْ أسلم نجا من الخلود في النّار، ثمّ بعد ذلك يترتَّب جزاؤه على وَفْقِ عملِه، إلا أن يعفوَ اللهّ.
٤. الحثُّ والتّرغيب في مجالس العلم، وفضلُ العلم وسماعه.
٥. أهمية طلب العلم وتقديمه على طلب المال.
٦. كراهة تعليق الآمال بعاجل الدَّنيا الفانية، وتقديم ذلك على التَّفقُّه في الدّين الّذي يحصِّل ثواب الآخرة الباقية.

---

(٢٧٨) نفس المصدر.

(٢٧٩) "فتح الباري" لابن حجر (٦ / ٢٩٠).

٧. للعلماء قولان في أيِّهما خُلِقَ أوَّلًا: العرش أو القلم؟ والأكثر على سَبْق خلق العرش، واختاره الإمام ابن جرير[٢٨٠].

٨. الاستدلال على أنَّه كان الله سبحانه وتعالى في الأزل متفرِّدًا وحدَه، ولم يكن شيء غيره، لا الماء، ولا العرش، ولا غيرهما.

٩. فضل العرش وعظمته وهو أعلى المخلوقات وأكبرها وأعظمها، وصفه الله تعالى في كتابه بأنّه عظيم، وبأنّه كريم، وبأنه مجيد.

١٠. أهل السُّنَّة والجماعة من أصحاب الرسول ﷺ والتابعين لهم بإحسان مجمِعون على أن الله في السماء، وأنه في جهة العُلْوِ فوق العرش، وفوق جميع المخلوقات، وليس في داخل السموات - تعالى الله عن ذلك عُلوًّا كبيرًا، وقد استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله وعظمته، ولا يشابه خلقه.

١١. حديث: «أوّل ما خلق اللهَّ العقل» ليس له طريقٌ ثَبْتٌ[٢٨١].

١٢. لا طريقَ إلى مَعْرِفَةِ اللهَّ، والوصول إلى رضوانِه، والفوز بقربه ومجاورته في الآخرة، إلَّا بالعِلم النافع الذي بعث اللهَّ به رُسُلَه، وأنزل به كُتُبَهُ[٢٨٢].

١٣. بالعلم يُعرَفُ الله حقَّ المعرفة، وبالعلم يُهْتَدَى فِي ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالشُّبَهِ وَالشُّكُوكِ؛ وَلِهَذَا سَمَّى اللهُ كِتَابَهُ نُورًا؛ لِأَنَّهُ يُهْتَدَى بِهِ فِي الظُّلُمَاتِ[٢٨٣].

من رقيق الشعر

إذا ما لم يفدك العِلمُ خيرا ... فخيرٌ منه أن لو اقد جِهلتا

وإن ألقاك فهمُك في مهاوٍ ... فليتك ثَّم ليتك ما فِهمتا

استجني من ثمارِ العجز جهلا ... وتصغُر في العُيونِ إذا كبُرتا

(٢٨٠) "فتح الباري" لابن حجر (٦ / ٢٨٩)

(٢٨١) نفس المصدر.

(٢٨٢) "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (٢ / ٢٩٨).

(٢٨٣) نفس المصدر .

ثالثًا: التقويم

س١: اختر الجواب الصحيح فيما يلي:

أولًا: يمكن الاقتداء براوي الحديث في:

١. المحافظة على الممتلكات.
٢. إتقان أنساب العرب.
٣. الحرص على طلب العلم.(إجابة صحيحة)

ثانيًا: الترتيب الصحيح للمخلوقات وفق الحديث الشريف:

١. العرش - الماء – السموات.
٢. الماء - السماوات – العرش.
٣. الماء - العرش – السماوات. (إجابة صحيحة)

س٢ أكمل مكان النقط

أ. «وعَقَلْتُ نَاقَتِي بِالْبَابِ» معناها .....
ب. يرشدنا الحديث إلى أهمية طلب ..... وتقديمه على طلب .....
ت. قوله ﷺ «اقْبَلُوا البُشْرَى يَا بَنِي تَمِيم» يقصد بالبشرى .....
ث. يستدل على فضل أهل اليمن من خلال قولهم ..... الوارد في الحديث
ج. إن الله تعالى قدَّر مقادير الخلائق قبل ..... وكان عرشه على الماء.

س٣: اذكر الشاهد من الحديث على أزلية الله تعالى وأنه لم يكن شيء قبله.

.....

س٤: هات من الحديث ما يناسب قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ (القمر:٥٣)

.....

س٥: وضح من خلال الحديث العلاقة بين العرش والماء؟

.....